



242- فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ.

(008) سورة الأنفال

2026-08-14

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مقدمة:

وبعد أيها الإخوة الكرام: يقول ربعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه:

{ كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتَّبَيْتُهُ بِوَضْوِئِهِ وَحَاجَّتِهِ - أَيِ بِالْمَاءِ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ - فَقَالَ لِي: سَلْ، فَقُلْتُ:

أَسْأَلُكَ مُرَاقَفَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى تَفْسِيكِ بَكْتَرَةِ السُّجُودِ }

(أخرجه مسلم والنسائي وأبو داود)

عرف ربعة بن كعب الأسلمي ما يطلب، ذاق طعم مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا، ذاق طعم المحبة، فأراد أن يدوم ذلك في جنة الخلد، فلم يطلب من الدنيا شيئاً، لا بيتاً، ولا زوجةً، ولا مالاً، ولا عملاً، قال: (أَسْأَلُكَ مُرَاقَفَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ) لا أريد غيره، فقال صلى الله عليه وسلم: (فَأَعِنِّي عَلَى تَفْسِيكِ بَكْتَرَةِ السُّجُودِ) أكثر من الصلاة، أطيل في السجود والتقرب من الله تعالى، لأن هذه مرتبة عظيمة في الجنة، يجب أن تبذل من أجلها جهداً ووقتاً.

إن كنت تُحب نبيك فعليك باتباعه وطاعته والتزام أمره:

أيها الإخوة الكرام: ألا تُحب أن تكون رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة؟ ألا تُحب أن تُحسّر مع مَنْ تُحب؟ إذاً عليك باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطاعته والتزام أمره، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69)

(سورة النساء)

نحن لسنا في مرتبة الأنبياء والصديقين، ولكننا إن أطعنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فأتينا ما أمّر، وتركنا ما نهى عنه وزجر، فإننا نرجو إن شاء الله تعالى، أن يحشرنا معهم في جنّة الخلد.

النبي صلى الله عليه وسلم أسوة لنا:

أيها الإخوة الكرام: النبي صلى الله عليه وسلم أسوة لنا، النبي صلى الله عليه وسلم قدوة لكل مؤمن، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)

(سورة الأحزاب)

حتى تتحقّق الأسوة لا بُدَّ من ثلاث صفاتٍ فيه صلى الله عليه وسلم:

كيفية تتحقّق الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لا بُدَّ حتى تتحقّق الأسوة، من ثلاث صفاتٍ فيه صلى الله عليه وسلم، الأولى بشريته.

الصفة الأولى بشريته:

أول صفةٍ لتتحقّق الأسوة، هي أنّ النبي صلى الله عليه وسلم بشّر، تجري عليه كل خصائص البشر، ولولا أنه كان بشراً لقال قائلٌ كيف نقنّدي به؟ هو ملكٌ من الملائكة، ونحن بشرٌ نرضى ونغضب، ونجوع ونعطش، ونحاضر، وبُصينا من هموم الدنيا ما يُصينا، فكيف تناسّى به؟ فأول صفةٍ في رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى لا يقول قائلٌ كيف أناسى به؟ هو بشّر، أكد القرآن الكريم هذا المعنى في آياتٍ عدّة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۚ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
أَخَذًا (110)

(سورة الكهف)

وقال صلى الله عليه وسلم:

{ كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سَلِيمٍ يَتِيمَةٌ - وَهِيَ أُمُّ أَتَسٍ - فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَتِيمَةَ، فَقَالَ: آتَبَ هِيَ؟ لَقَدْ كَبِرْتَ، لَا كِبَرَ سِبْكَ. فَزَجَعَتْ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سَلِيمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سَلِيمٍ: مَا لَكَ يَا بَيْتِي؟ قَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلِيٌّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِبْكَ، فَالآنَ لَا يَكْبُرُ سِبْكَ أَبَدًا - أَوْ قَالَتْ: قَرْنِي - فَخَرَجَتْ أُمُّ سَلِيمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوْثُ خِمَارَهَا، حَتَّى لَقِيتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا لَكَ يَا أُمُّ سَلِيمٍ؟ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَدْعَوْتُ عَلَى يَتِيمَتِي؟! قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا أُمُّ سَلِيمٍ؟ قَالَتْ: رَعَمْتُ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِبْكَهَا، وَلَا يَكْبَرَ قَرْنُهَا! قَالَ: فَصَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: يَا أُمُّ سَلِيمٍ، أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرَطِي عَلَى رَبِّي أَنِّي اسْتَرْطَيْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ

لَهَا بِأَهْلِ، أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهَوْرًا وَزَكَاةً، وَفُرْبَةً يُقَرَّبُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ {

(صحيح مسلم)

فلولا أنه صلى الله عليه وسلم يتبشّر تجري عليه كل خصائص التبشّر، لما كان - بأبي هو وأمي - سيّد البشر.
أيّها الإخوة الكرام: يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ الْقَصَصِ الْأَمْرُ لَمْ لَا يُنْظَرُونَ (8)

(سورة الأنعام)

هؤلاء المشركون مُتعلّقون إلى أبعد حدّ بعالم الشهادة، يريدون ملكاً ينزل من السماء حتى يتبعوه، كيف سيُخبر بشراً؟ قال تعالى: **(وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ الْقَصَصِ الْأَمْرُ لَمْ لَا يُنْظَرُونَ)** لا يُمهّلون بعد ذلك، لا يُمهّلهم الله، لأنّ الله تعالى حَزَّ سُنَّتُهُ أنه إذا أنزل الملائكة، وأنزل الآيات الشاهدة وليست الغيب، فإنّ الله يُعَذِّب بعد ذلك ولا يُمهّل **(وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ الْقَصَصِ الْأَمْرُ لَمْ لَا يُنْظَرُونَ)** أي لا يُمهّلهم الله تعالى، فيُعَذِّبهم لأنهم لن يؤمنوا ولو أنزل الملك، ماذا قال الله تعالى بعدها؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيْسُونَ (9)

(سورة الأنعام)

لأنّ حكمة الله تعالى تقتضي أن يكون الرسول من أنفسنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَتُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (164)

(سورة آل عمران)

أيّها الإخوة الكرام: أول صفٍ في رسول الله صلى الله عليه وسلم تجعل الأسوة به مُحَقَّقة أنه بشّر.

الصفة الثانية: أنه معصومٌ عن أن يُخطئ في أقواله وفي أفعاله وفي إقراره:

الصفة الثانية: أنه معصومٌ صلى الله عليه وسلم، معصومٌ عن أن يُخطئ في أقواله، أو في أفعاله، أو في إقراره، غَضَمَهُ الله تعالى عن الخطأ، وإلا لو لم يُعَظَم عن الخطأ، لكان الأمر بالتأسي به، أمراً بالافتداء بالخطأ وبالصواب **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)** فلو كان صلى الله عليه وسلم يُخطئ في التشريع، ونحن مأمورون بالتأسي به، إذا نحن سنّيع الخطأ، فلذلك غَضَمَهُ الله تعالى عن أن يُخطئ، في أقواله، أو في أفعاله، أو في إقراره، ليكون التأسي به واجباً على كل مؤمن.

أيّها الإخوة الكرام: لمّا خاطب الله نبيّه صلى الله عليه وسلم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فِيهِدَاهُمْ أَفْتِدَةً ۖ فُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (90)

(سورة الأنعام)

اقتد بهديهم، لكن لما خاطبنا قال: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ) في شخصه صلى الله عليه وسلم، (أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) لأنه معصوم، فأنت كلما تأسيت به أكثر، اقتربت مما يريده الله منك أكثر وأكثر (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ).

الأسوة أعمق من القدوة:

أيها الإخوة الكرام: الأسوة أعمق من القدوة، الأسوة تتعلق غالباً بالمِخَن، بالابتلاءات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَتَصَحَّتْ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (93)

(سورة الأعراف)

من الأسى والحزن.

فالأسوة فيها معنى أعمق من القدوة، وهو أنها تتعلق بالمِخَن والابتلاءات، فأنت عندما تنظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ترى فيها تأسيًا بكل ما مرَّ به من مواقف مرَّ بها صلى الله عليه وسلم.

كيف نتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم:

لكن السؤال الذي يُطرح هنا أيُّها الكرام: كيف نتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم، وهو المُصطفى من الله، وهو الموحى إليه؟ لعلَّ قائلًا يقول: كيف أتبعه صلى الله عليه وسلم؟ هو معصوم وأنا أقع في الخطأ، هو مُصطفى من الله عزَّ وجل اصطفاه الله، هو موحى إليه، ونحن لا يوحى إلينا، فكيف؟
أيُّها الإخوة الكرام: ردًّا على هذا السؤال نقول: أحيانًا تختلف مع بعضنا في مسألة، يختلف شخص مع آخر في موضوع، ميراث، شراكة، شيء ما، يختلف شخصان، فكلُّ منهما يقول: هذا رأيي، الأول يقول: هذا رأيي وهو الصواب، وقلة من يقول ويحتمل الخطأ، كما كان يقول الإمام الشافعي، نحن نعتقد دائماً أنَّ آراءنا هي الصواب، والثاني يقول: بل هذا رأيي وهو الصواب، فمن الذي يحكم؟ نحتاج إلى طرفٍ ثالثٍ يُحكمه بينهما:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ حِفْظُهُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّي اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (35)

(سورة النساء)

في النزاعات الزوجية، فنحتاج إلى طرفٍ ثالثٍ ليحكم بيننا، وهذا الطرف يجب أن تتوفر فيه ثلاثة شروط:

ثلاثة شروط لمن كان حَكَمًا بين طرفين:

الشرط الأول: أن لا يكون طرفاً في الخصومة، لا يكون قريباً لأحد المتخاصمين، أن لا يكون صديقاً حميماً، أن لا يكون شريكه في العمل، أول بندي: أن لا يكون طرفاً في الخصومة.

الشرط الثاني: أن لا يُحابي أحداً، لا يكون عنده مُحاباة، يميل إلى طرفٍ دون طرف.

الشرط الثالث: أن يكون هدفه منفعة الجميع، لا يريد الإساءة إلى طرفٍ، فإذا حكم لفلان بالمال، فقد أعطاه حَقَّه، وقد يَرَأُ الثاني من أن يأخذ حَقَّ غيره بالباطل، فهدفه منفعة الجميع، لا يريد الاقتصاص من أحدٍ ولا التيل من أحد، هذه هي الشروط الثلاثة في أي حَكَمٍ، الشرط الأول أن لا يكون طرفاً في الخصومة، الشرط الثاني أن لا يُحابي أحداً، والشرط الثالث أن يكون هدفه منفعة الجميع، جميع الأطراف.

من الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون؟ الله تعالى، الله تعالى يحكم بين عباده، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3)

(سورة الزمر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (46)
(سورة الزمر)

كذلك في آيةٍ أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَنُصَارِيَ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَنُصَارِيَ الْيَهُودَ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
مِثْلَ قَوْلِهِمْ قَالَهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)
(سورة البقرة)

الله جلّ جلاله هو من يحكم بين عباده في أي اختلاف:

قول، اليهود يقولون: النصاري ليسوا على شيء من الدين، (وَقَالَتِ النَّصَارَى لَنُصَارِيَ الْيَهُودَ عَلَى شَيْءٍ) كل واحد يقول: أنا الصواب، (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَنُصَارِيَ عَلَى شَيْءٍ) نحن أصحاب الدين الصحيح، (وَقَالَتِ النَّصَارَى لَنُصَارِيَ الْيَهُودَ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ) بينهم التوراة والإنجيل، فلا ينبغي أن يختلفوا، لأنّ هناك حكماً عدلاً بينهما، لكن تركوه، قال تعالى: (كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) مُشْرِكُوا الْعَرَبِ (كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ) أين الحكم؟ (قَالَهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) لا بدّ من أن يحكم بينهم طرف ثالث.

جلّ جلاله، والله المثل الأعلى هو من يحكم بين عباده في أي اختلاف، من أجل أن يعرف أين الصواب، والله تعالى جلّ جلاله، حاشاه، نعود إلى الشروط الثلاثة، حاشاه جلّ جلاله أن يكون طرفاً في خصومةٍ، فهو العدل الحكيم.

مما يروى أنّ عمر رضي الله عنه، لما أوصى سعد بن أبي وقاص، لما أقره على حرب العراق، قال له: "يا سعد: لا يُعزّزك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنّ الله ليس بينه وبين أحدٍ تسبّ إلا بطاعته"، الله تعالى ليس بينه وبين عباده تسب، فهو الحكم جلّ جلاله، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)
(سورة الحجرات)

الله تعالى لا يُحابي أحداً بل يتعامل مع عباده بالقوانين والسُنن:

فإنّ الله تعالى لا يُحابي أحداً، يتعامل مع عباده بالقوانين، بالسُنن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ أَغْرَمَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)
(سورة طه)

الله تعالى أرسل رسوله المعصوم ليبلغك شرع الله عز وجل:

ما علاقة ذلك بعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ الآن الله تعالى أرسل رسوله المعصوم ليبلغك شرع الله عز وجل، لذلك أنت تتأسى به، لأنه صلى الله عليه وسلم ليس طرفاً في خصومةٍ، ولأنه صلى الله عليه وسلم لا يُحابي أحداً في حقٍّ، قال:

{ من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه }

(أخرجه مسلم)

أبدأ، صلى الله عليه وسلم.
قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40)

(سورة الأحزاب)

فالنبي صلى الله عليه وسلم مُنَزَّهٌ عن أن يُخطئ، معصومٌ عن أن يُخطئ في أقواله وأفعاله وإقراره، فعندما نختلف في شيءٍ، نرجع إلى سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنجد فيها المخرج، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)

(سورة النساء)

قَسَمٌ بأخذ بالألباب، يُقسم برَّبِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ربِّنا، لكن يقول له: يا محمد (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) عندما يقع خلافٌ بيني وبينك، نحتاج إلى الطرف الثالث ليحكم بيننا، من هو؟ كتاب الله تعالى، سُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم (حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)، لا يكفي، قال: (ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ) لأنَّ شرع الله منفعٌ للجميع.

فعندما يخرج الحكم الشرعي الناقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول لك: هذا لا يجوز، هذا ليس حقاً لك، هذا درهمٌ حرام، فهذا منفعٌ لك أنت.

عندما يقول شرع الله للمرأة: إذا طَلَّقْتَ فَلَكَ نصف مهرِك، أو مهرِك كاملاً، ليس لك نصف أملاك زوجك كما هو في الغرب، فهذا منفعٌ لك أنت، لأنه شرع الله، وشرع الله ليس فيه إلا النفع (حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ)، ما يقع في قلبك ضيقٌ، يقول أحدهم: هكذا الشرع يقول؟ هل هكذا هو الدين؟ (ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ) أبدأ، لا يكفي، قال: (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، تسليمٌ كامل لمنهج الله تعالى، هكذا يريد شرع الله؟ إذا أنا مع شرع الله، أدور معه حيث ما دار، هكذا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم المُبلغ عن الله تعالى، إذا أنا مع حُكم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذاً أيُّها الكرام: حتى تتحقَّق الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم: أولاً بشريته، ثانياً بعصمته صلى الله عليه وسلم، ثالثاً أنه قد مرَّ في حياته كل ما يمرُّ بحياتنا وسيمرُّ إلى قيام الساعة، لأنَّ الإنسان أحياناً يقتدي بجانبٍ مُعَيَّن، بأشخاصٍ مُعَيَّنِينَ، فنقول له: فلانٌ قدوةٌ لك في الكرم، لكن هذا الرجل لا تقتدي به في الغيبة، فأحياناً يغتاب الناس، لكن هو قدوةٌ في الكرم فقط، في جانبٍ مُعَيَّن.

الصفة الثالثة: أنه قد مرَّ في حياته كل ما يمرُّ بحياتنا وسيمرُّ إلى قيام الساعة

هذا فلانٌ قدوةٌ لك في صلاته وُحُسْن صلاته، لكن ينبغي أن تنتبه فهو بخيلٌ بعض الشيء، لا تقتدي به في الخجل، كلُّ منّا له صفاتٌ يُقتدى بها، وله صفاتٌ لا يُقتدى بها، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده من مرَّت في حياته كل الصفات، وكل المناسبات، وكل الوقائع، فوقف من كل منها الموقف الأمثل.

بعض المواقف التي مرَّ بها رسول الله في حياته:

إن قلت لي: قد جئت يوماً، أقول لك: لك في رسول الله أسوةٌ حسنة، ألم يقل صلى الله عليه وسلم:

{ لقد أُخِفْتُ في اللَّهِ وما يُخَافُ أحدٌ، ولقد أُؤذيتُ في اللَّهِ وما يُؤذى أحدٌ، ولقد أتت عليّ ثلاثونَ من بين يومٍ وليلةٍ وما لي ولبلالٍ

طعامٌ يأكلُهُ ذو كبدٍ إلّا شيءٌ يواريه إبطُ بلالٍ }

(أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه)

حوصِر في الشَّيْب، لم يجد ما يأكله. وإن قُلت لي: قد جمعت مالا، قُلت لك: لك في رسول الله أسوهُ حسنة، فقد أغناه الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَوَجَدَكَ غَائِلًا قَاعَتِي (8)

(سورة الضحى)

فقال له أعرابي: لمن هذا الغنم بين جبلين؟ قال: هو لك، قال: أنهزأ بي؟!

{ ما سئِلَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإسلامِ شيئًا إلّا أعطاه، قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه عَنَمًا بينَ جَبَلَيْنِ، فزَجَعَ إلى

قَوْمِهِ، فقال: يا قومِ أسَلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْغَافَةَ }

(صحيح مسلم)

كُرُمٌ عند وجود المال، وتَجُمَّلُ وصيْرٌ عند فقده.

وإن قُلت لي: الضعف، أنا ضعيفٌ، قُلت لك: لك في رسول الله أسوهُ حسنة، هل وجدت ضعفًا أكثر من أن يُلحق به الصبية في أزقة الطائف، فيرموه بالحجارة حتى تُدمى قدمه الشريفة، فماذا فعل في مواقف الضعف؟ لمّا جاءه مَلَكُ الجبال وقال:

{ أَنَّهُ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أحدٍ؟ فقال: لقد لقيتُ من قومك، وكان أشدَّ ما لقيتُ

منهم يومَ العَقِبةِ إذ عرَضْتُ نفسي على ابنِ عبدِ يالِيلَ بنِ عبدِ كلالٍ، فلم يجِبْنِي إلى ما أردتُ، فانطلقْتُ وأنا مَهْمُومٌ على وجهي، فلم أَسْتَفِقْ إلّا وأنا بقرنِ النَّعَالِ، فرفعتُ رأسي، فإذا بسحابةٍ قد أَطْلَتْنِي، فنطرتُ فإذا فيها جبريلُ عليه السَّلَامُ، فناداني فقال: يا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، قد

سَمِعَ قولَ قومِكَ لَكَ، وما رَدُّوا عليك، وقد بعثَ اللَّهُ مَلَكَ الجبالِ لتأمرَهُ بما شئتَ فيهم قال: قناداني مَلَكُ الجبالِ: فَسَلِّمْ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يا

مُحَمَّدُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قد سَمِعَ قولَ قومِكَ لَكَ، وأنا مَلَكُ الجبالِ، وقد بعثني رَبُّكَ إِلَيْكَ لتأمرني أَمْرَكَ، وبما شئتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ

عليهم الأَخَشَبَيْنِ فَعَلْتُ، فقالَ لَهُ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل أرجو أن يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أَصْلَابِهِم مَن يَعْبُدُ اللَّهَ، لا

يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا }

(أخرجه البخاري ومسلم)

{ شَهِدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينَ كُسِرَت رِباعِيتهُ، وَجُرِحَ وَجْهُهُ، وَهُسِّمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، وَإِنِّي لأَعْرِفُ مَن يَغْسِلُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ،

وَمَنْ يَنْقُلْ عَلَيْهِ الْمَاءَ، وَمَاذَا جَعَلَ عَلَى جُرْجِهِ حَتَّى رَفَأَ الدَّمَ، كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَغْسِلُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَعَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَنْقُلُ الْمَاءَ إِلَيْهَا فِي مَجْتَنَةٍ، فَلَمَّا غَسَلَتِ الدَّمَ عَنْ وَجْهِ أَبِيهَا أَحْرَقَتْ حَصِيرًا، حَتَّى إِذَا صَارَتْ رِمَادًا أَخَذَتْ مِنْ ذَلِكَ الرَّمَادِ فَوَضَعَتْهُ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى رَفَأَ الدَّمَ، ثُمَّ قَالَ: يَوْمَئِذٍ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ كَلَّمُوا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَكَثَتْ سَاعَةً، ثُمَّ

قال: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** {

(أخرجه مسلم والطبراني والترمذي وابن ماجه)

دعا لهم بالهداية، واعتذر عنهم، وقد فعلوا ما فعلوا، ولم يتخلَّ عنهم، قال: **(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي)** هؤلاء قومي.

وإن قُلْتُ لي: قد قَوَّاني الله ومكَّنِّي بعد ضعفي، قُلْتُ لك: ها قد مَكَّنَ الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم بعد ضعفي، فعاد إلى مَكَّة فاتحاً، بعد أن أخرجته ونكَلْتُ بأصحابه، فدخل مُطَاطِئُ الرَأْسِ تواضعاً لله تعالى، حتى كادت ذُؤَابَةُ عِمَامَتِهِ تُلَامِسُ عُنُقَ بَعِيرِهِ، وهو يقول:

{ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفِيَّانٍ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ }

(أخرجه أبو داود والبيهقي)

هذا ما فعله.

وإن قُلْتُ لي: فقدتُ، قُلْتُ لك: قد فَقَدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَقَدَ ولده الذي جاد بنفسه بين يديه، وهو يقول:

{ دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَفِيٍّ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظَنَرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّمَهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذَرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحِمَةٌ، ثُمَّ أَتَبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْعَيْنَ

تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِعِرَافِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْرُونُونَ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

وإن قُلْتُ: تكلموا في شُمتي، قُلْتُ لك: قد تكلموا في عِرْضِ أَقْنَا عَائِشَةَ زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمُبَرَّأَةِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، فَمَا أَخَذَهُ الْغَضَبُ الَّذِي يَأْخُذُ بَعْضَ الرِّجَالِ، وَإِنَّمَا انْتَظَرُ وَحْيَ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّوْبَةَ.

النبي وقف في كل موقفٍ أعظم ما يمكن أن يفقه بَشَرٌ لتتحقق الأسوة به:

ماذا تقول؟ سَلَنِي عَنْ شَيْءٍ وَقَعَ فِي حَيَاتِكَ لِأَقُولَ لَكَ قَدْ وَقَعَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ عُسْرٍ أَوْ يُسْرٍ، مِنْ قُوَّةٍ أَوْ ضَعْفٍ، لِذَلِكَ هُوَ الْأُسُوةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّكَ كَلِمًا وَجَدْتَ شَيْئًا فِي حَيَاتِكَ، كَيْفَ تَصْرُفُ مَعَ الْخَادِمِ؟ كَيْفَ تَصْرُفُ مَعَ زَوْجِهِ، كَيْفَ عَامَلَ أَسْرَتَهُ؟ كَيْفَ عَامَلَ عَدُوَّهُ؟ كَيْفَ كَانَ فِي الْحَرْبِ؟ كَيْفَ كَانَ فِي السَّلَامِ؟ كَيْفَ كَانَ فِي الْحِصَارِ؟ كَيْفَ كَانَ فِي الْحَرَبِ؟ هَذَا مَا أَسَمَّيْهِ أَحْيَانًا، الْإِعْجَازُ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، فِي سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، أَنْكَ تَسْتَعْرِبُ أَنَّهُ فِي هَذِهِ السَّنَوَاتِ الثَّلَاثِ وَالْعِشْرِينَ، ذَاقَ مِنْ كُلِّ مَا يَذُوقُهُ الْبَشَرُ، فَوَقَفَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ أَعْظَمَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْقَهُ بَشَرٌ، لَتَتَحَقَّقَ الْأُسُوةُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ: نحن بحاجة في تعاملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُبٍّ واتباع، حُبٍّ نرقي به وتأخذ بأيدينا، وإن لم تبلغ أعمالنا ما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن تبلغ، وإلى أتباعٍ يُبْرهن فيه على محبتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لَمَّا كَثُرَ مُدْعَوُ الْمَحَبَةِ طَوَلِبُوا بِالْإِدْلَالِ، قَالَ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)

(سورة آل عمران)

كُلُّ يَدْعِي، أَنَا أَحَبُّ إِلَهُ، كَلَامٌ سَهْلٌ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) فَإِذَا أَتَيْتُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبَّتَا اللَّهَ تَعَالَى.

أَيُّهَا الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبوا، وزِنوا أَعْمَالَكُمْ قبل أن تُوزَنَ عليكم، واعلموا أَنَّ مَلَكَ الموت قد تَخَطَّأَنا إلى غيرنا وسَيِّطَظَّى غيرنا إلينا فليَتَّخِذْ جذرنا، الكَيِّسَ مَنْ دانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لِقَا بعد الموت، والعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَواها وتَمَنَّى على الله الأمانِي، واستَغفروا الله. الحمد لله رَبِّ العالمين وأَشْهَدُ أَنَّ لا إله إلا الله وَلِيُّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وأَصحابِهِ أَجْمَعِينَ.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.
اللهم برحمتك عُمَّنا، واكفنا اللهم شَرَّ ما أَهَمَّنَا وأَعَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والنُّشَّةِ تَوَقُّنا، نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا. لا إله إلا أنت سبحانك إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ وأنت أرحم الراحمين.
وارزقنا اللهم حُسْنَ الخاتمة واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا أنت حسْبنا عليك انكالتنا.
اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ لأهلنا في غَزَّةَ، لأهلنا في فلسطين فرجاً عاجلاً يا أرحم الراحمين.
اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ لأهلنا في كل مكانٍ فرجاً تُعز فيه دينك وتُعز فيه أوليائك.
اللهم أطعم جائعهم، واكسُ عريانهم، وارحم مُصابهم، وآوِ غريبهم، واجعل لنا في ذلك عملاً مُتَقَبَّلاً.
اللهم يا أكرم الأكرمين ابسط أَمْنَكَ وأمانك على بلادنا، اجعلها مُستَظَلَّةً بكتابك وبسُنة نبيك صلى الله عليه وسلم، ووفِّق القائمين عليها لما فيه مرضاتك وللعمل بكتابك وبسُنة نبيك صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رَبِّ العالمين.